

أوراق



لوحة تخبيلية
للحب بيت
شبرين وفرهاد
(ملحمة حب
كردية)

«كينج خليل»: حب الأغنية الأخيرة

عن خصال ابن عمها وعن حبها. وعقب انتهاء الأغنية، يموت «كينج خليل» تاركاً إياها لوحدها تواجه الحياة والحب الميت.

هنا مقتطف من الملحمة:

تعال يا فتى... اقترِب يا ابن عمي...
لأجل ابن عمي «كينج خليل» لا أود أن أستمِر في هذه الحياة.

يا «كينج خليل»، كان لنا صباحٌ، وكان نهر «باشو» ووادي «حوبو» رقعتان نتخذهما مرتعا للشوق، قلبي لأجلك ينبض يا ابن عمي،

في فناء البيت، سوف أمسك يد ابن عمي وفرحةً أؤنّه بالسخام،

سمعت أن ابن عمي مرهقٌ، ومعلول البدن، مساءً وحتى طلع الشمس، سأدعه يريح رأسه على ساعدي الفاتن، ليُرْسَمَ وجهه على حلمتي، إشارة لصلاة الفجر.

هل سأغدو وسادةً وثيرةً له، يسند رأسه عليها؟ حين يمضي نحو البلاد الغريبة، وكي لا يتفوّه عنه الأصحاب: «إن «كينج خليل» كرديٌّ فارسٌ قبيح

سوف أجعل جدائلي السوداء رسناً لحصان ابن عمي، و«خزيم» أنفي سمساراً، وحزام ظهري نعلًا

يا «كينج خليل».. يا ابن عمي.. أقسمت لنفسي فجراً، حين تجتبه نحو بلاد الغرباء، حين تذهب، لن أرتب البيت خلفك.

...

بأصوات المغنين، بدقوف الدراويش، بناي من يعزف عليه، بعزف اللحنين، وشدو الشحارير والبالبل، بأوتار الطنبور، أنظر إلى هذا الصباح يا ابن عمي، مرة أخرى.

فرحةً بنفسي سوف أتركك تخلد للنوم مُطمئنًا.

1. كينج: تعني في الكردية «الفتى أو الشاب»
2. خفسي: اسم علم مؤنث

* ترجم النص عن كاكشار أورامار

الجنود عن «كينج خليل» بعد رؤيا الرجل القبيح، لكن من دون عثور على ردّ يروي الظما. اختفى، فقط هكذا! تروح «خفسي» تبحث من دون كل.

في أماكن المعارك التي دارت، تعثر «خفسي» على بيتٍ شبه مهدم في رقعةٍ بعيدة خلال درب بحثها.

تدنو من الباب، تقف وقلبها يحذّثها بالوصول، ومن ثمّ تسال بصوت خافت:

- ألا يودّ صاحب البيت ذا ضيوفاً؟

يأتي صوتٌ من مكانٍ ما داخل البيت المهدم:

- الضيوف أحبّاء الله، تفضلي، لكن حذاري أن تقتربي مني، أخشى أن ينتقل مرضي إليك.

- العلة من عند الرب، فأهلاً بها، ردّت «خفسي»،

”

كي لا يتفوّه عنه

الأصحاب: إن «كينج خليل»

كرديّ فارسٌ قبيح، سوف

أجعل جدائلي السوداء رسناً

لحصان ابن عمي

“

وحيث تدنو شيئاً فشيئاً، تتوضّع صورة الرجل أكثر، تكتشف أن المريض هو ابن عمها وزوجها «كينج خليل» في رمة الأخير لينشد:

- يا ضيق قلبي، اتسع، وطني وابنة عمي ضاق بهما المكان.

هل ستغنين لي يا «خفسي»، علّ قلبي يتسّع؟ طلب «كينج خليل».

حين تلقاه على هذه الحال، تغني بحرقة، متحدثةً

فقط، فيما أشارت نسخ أخرى إلى حبّ قديم بينهما، إلا أن والد خفسي كان يرفض تزويج ابنته لكينج، الملحمة برمتها دالة على الفراق، فراق المحبين الذي تعج الأغاني الكردية القديمة به. الأغاني التي تسرد ملاحم عشقٍ نقلت عبر الكلام/ القصص المغناة، ضمن قالب شعبيٍّ مستمرٍ ولكن بحدّة.

منحى الحكاية

تُستكمل حكاية الحب هذه وفق منحى آخر. أميرٌ يعيش في زمن الحب/الأغنية ذلك، حالمٌ متغطرس بتوسيع نفوذه، طامعاً في منطقة عجز عن الحصول عليها رغم قوّته وبطشه.

حلم الأمير ذات ليلة بأنه ويتعاون ما مع رجل يدعى «كينج خليل» يتمكّن من السيطرة على تلك المنطقة الخصبّة. بلجا الأمير في تفسير الحلم وخباياه إلى مستشاره، ومن ثمّ يُقرّر البحث عن «كينج خليل».

يتمكّن فرسان الأمير من العثور عليه في «أمد» وجليه بعد رحلة بحثٍ طويلةٍ وشاقةٍ استغرقت

أيّاماً وليالي. يوافق كينج على طلب الأمير بالعون والمساعدة، ولكن يشترط على الأمير أن يتدخل

ليخاطب له «خفسي» بعد أن كلت محاولاته. يحصل ذلك فعلاً، إذ يرسل الأمير مستشاره في ليلةٍ سوداء

ليتمثل والد «خفسي» للأمر خائفاً من سطوة الأمير. وعلى مضض، يوافق الأب على عقد القران.

بعد زفافه، يطلب «كينج خليل» مهلة من الأمير قبل تنفيذ التعاون للسيطرة على المنطقة، فيمضي ثلاثة

أيّام مع عروسه، ومن ثم ينطلق لتنفيذ التمويه القتال. ينجح فعلاً في السيطرة على المكان الذي حلم به الأمير ويتحقّق الحلم. إلا أن «كينج خليل» يصاب خلال المعارك ويجرح جرحاً عميقاً يمنعه

من الحركة. يمكث في مكانٍ مجهول، بمفرده، بعدما استطاع الهرب بعيداً عن أنظار الفرسان. يختفي داخل بيتٍ مهدمٍ ومهجورٍ منتظراً ريثما يستردّ عافيته عائداً إلى الحبيبة. على الطرف الآخر، وحين يعود جنود الأمير لبيوتهم غانمين، تسال «خفسي»

ترجمة وتقديم جوان تر

تعود ملحمة «كينج خليل» (1) لفترة العهد العثماني الذي كان يحكم المنطقة الكردية سنواتٍ طوال. تسرد الملحمة حكاية أنثى عاشت في العصر

ذلك تدعى «خفسي» (2)، وألفت الملحمة من قبلها خلال الساعات الأخيرة في حياة حبيبها «كينج خليل». انتشرت بشكل أكبر لاحقاً عن طريق المغني

الكرد المشهور كاوبس أغا (1889-1936) الذي أداها بصوته، لتظهر نسخ عدة ومختلفة لهذه الملحمة، لا

يختلف فيها الكلام، ولكن قد يختلف الترتيب فقط، أو ربما يُنقص شطرٌ أو اثنان، كحكاية حبّ قديمة

جداً تناقلتها الحناجر عبر الأزمان. المكان الذي تدور فيه أحداث الملحمة هي «أمد» أو

«ديار بكر» في تركيا. ونفذ غناء الملحمة بلهجات كردية مختلفة ضمن إيران وتركيا والعراق

وبأصوات غنائية متعددة وقتذاك ضمن سياقات موسيقية وصوتية مختلفة.

النرد

«خفسي» تحلم ذات مرة أن ابن عمها «كينج خليل» يمضي سنواتٍ طويلة كقائد في الجيش العثماني في الشام. وتتوضّع في الرؤيا كذلك أنها تُجبر

على الزواج من رجل قبيح مصاب بالجدري. تحدّث خفسي والدتها بشأن الحلم، كاعتقادٍ قديم بأن

الأمهات يبرعن في تفسير الأحلام، فتتطلق خفسي مع مجموعة كبيرة من صديقاتها وبيحثن في أماكن كثيرة. يسألن أصحاب القوافل التجارية عن

ابن عمها كينج خليل. محاولات طويلة وعديدة في رحلة البحث عنه، تراه خفسي في نهاية المطاف وهو في آخر أيام عيشه، حيث المرض قد نال منه. وفي هذه اللحظات الأخيرة تغني خفسي الملحمة مادحة إياه وحبّهما.

وفقاً لبعض نسخ سرديات حكاية الملحمة الأخرى، فإن خفسي تزوّجت من كينج خليل قرابة أسبوع